



الدفن بعيدا عن المنزل لا يزال صعبا

الموت يوحد العراقيين في مقبرة وادي السلام الجديدة المثوى الأخير يجمع الجميع تحت مظلة العراقي.. لا مكان للأديان والطوائف



تكريم الموتى للمرة الأخيرة بطريقة لائقة

قالوا إنهم لا يستطيعون دفنه هناك، فما كان منهم إلا أن توجهوا بالجثمان إلى "مقبرة كورونا"، وفي الطريق إلى هناك، أجرى الابن بعض الاتصالات على عجل لمعرفة الصلوات التي يتعين عليهم تلاوتها أثناء الدفن. يقول إنه مازال يشعر بغصة في حلقه لأن أحدا من الكنيسة الأرمنيّة الأرثوذكسية لم يرافقه لمواصلة آبيه الثرى.

وعند وصوله إلى المقبرة، استقبله الشيوخ المسؤولون عنها، وأخبروه بأن والده يمكن أن يُدفن في أي مكان. فقال لهم "أريد أن يكون قبر والدي بعيدا عن الآخرين، وبالفعل دفن على بعد كيلومتر من قبور المسلمين".

ويقول الابن إن متعهدي الدفن بذلوا قصارى جهدهم من أجل تكريم والده، وأرسلوا له شريط فيديو يوثق مراسم الدفن، حتى أن أحد أفراد الطاقم الطبي الشيعي كان يرتدي ملابس واقية ويشير بعلمة الصليب على جثة والده.

وبالعودة إلى المقبرة، كانت لحظة الوداع أسهل، وأكثر حميمية. دفن المئات من المسلمين السنة هنا، لكن الدفن بعيدا عن المنزل لا يزال صعبا. لم تقبل المقبرة السنّة الرئيسيّة في بغداد استقبال جثة والد المرتضى أحمد جاسمين، على الرغم من أنها توارى جثامين جميع أفراد أسرته.

ويقول المرتضى البالغ من العمر 22 عاما "طوال الطريق إلى مقبرة وادي السلام الجديدة، كنت أناجس والدي وأقول له: سامحني لأنني لم أستطع تنفيذ وصيتك بأن تُدفن وسط الراجلين من أبناء عائلتك". ولكن بعد وصوله إلى المقبرة، ذهب كل التعب والغضب؛ لأنه وجد "مقبرة نموذجية" على حد وصفه، وكان بمقدوره زيارة والده في أي وقت. وأضافت "شعرت بارتياح كبير، وقلت في نفسي لا بد وأن الله يحب والدي لأنه اختار له هذا المكان ليدفن فيه،

من الإصدقاء أو من مقاتلين آخرين، مضيفا أنه يخشى أن يصاب أحدهم بالفايروس فيتلقى اللوم من أقرابه. ولم يخسر أبوسجاد عائلته بأنه يعمل في المقبرة وقال إن أصدقاءه الذين يعملون بالأمر مترددون في لقائه. وكانت بعض العشائر وكبار رجال الدين المحليين رفضوا دفن الضحايا في المقابر المحلية، وهو من أسباب حفر المقبرة الجديدة.

مقبرة كورونا تأسست بأمر من المرجعية الدينية علي السيستاني، وهي صغيرة جدا بالنسبة لمقبرة وادي السلام، الأكبر في العالم

وقال قائد فريق الدفن عبدالحسن كاظم "رجعوا إلى الخالجات وبقوا فيها 15 يوما تقريبا وصار الدفن عشوائيا في بعض المناطق... يدفنونهم دون غسل ودون تجهيزات شرعية". وينقل تقرير لصحيفة الإندبندنت عن مصادر أن هناك توجيهات بشأن تفتح المقبرة، ولو كان الشيعة هم الذين يديرونها، أبوابها لاستقبال الموتى على اختلاف عقائدهم وأطيافهم، وأن يكون الدفن بالمجان، دون تحميل ذوي الموتى أي تكاليف.

لحظة الوداع

ويتحدث أري ساهاك ديرتال، وهو مسيحي أرمني يبلغ من العمر 33 عاما، عن الألم الذي لا يزال يشعر به منذ دفن والده يوم 1 يوليو. يقول "ذهبت على الفور إلى الكنيسة الأرمنيّة الأرثوذكسية في بغداد؛ لأنني كنت أعرف أن والدي يريد أن يدفن هناك، لكنني فوجئت عندما

وتطوعت فرقة الإمام علي القتالية لإدارة المقبرة. وتولت فرقها الطبية مهمة استقبال الجثامين، وتطهير أكياس الجثث التي وصلوا فيها، ثم غسل الموتى.

وتولت مجموعات أخرى مسؤولية حفر القبور ودفن الموتى، فيما قام آخرون بدور المرشدين لمساعدة أفراد الأسرة عندما يأتون إلى المقبرة للعثور على قبور أقرابهم، من بين الآلاف من القبور الممتدة في قلب الصحراء. مع العلم، أن الزيارات العائلية يسمح بها بعد انقضاء 10 أيام من الدفن.

واكتسب المسعف العراقي سمرمد إبراهيم خبرة أثناء علاج المقاتلين العراقيين في الحرب على داعش، لكنه الآن يدفن ضحايا فايرس كورونا وهي مهمة مرهقة تتطلب منه التعامل مع طقوس دفن إسلامية ومسيحية.

وقال إبراهيم، بينما كان متطوعون من كتائب الإمام علي يستعدون للتعامل مع نعش وصل للثمن من بغداد، "حتى الآن، نتعامل مع الوضع، لكن إذا بدأنا في استقبال المزيد من الجثث، فقد لا نتكمن من الدفن وفقا للقواعد الدينية".

وكان إبراهيم ورفاقه انضموا إلى أحد الكتائب التي تحارب داعش قبل عدة سنوات، إلا أن هذا العدو مختلف تماما، فإن هذا العمل يستنزفهم جسديا ونفسيا. وعادة ما تصل الجثث أثناء الليل، ويقوم المتطوعون، الذين يرتدون سترات واقية كاملة، بأعمال الغسل والتكفين في أعطية سوداء قبل إعادة الجثث إلى التوابيت، ويحملون التوابيت إلى القبور على أضواء المصابيح الأمامية لسياراتهم.

وأشار أحد أفراد الفصائل المسلحة ويدعى أبوسجاد (46 عاما) إلى أن الفريق عندما يواجه نقصا في عدد المشاركين في دفن الضحايا فإنه يضطر لطلب المساعدة

بالتطوع. بوغت السلطات الدينية والصحية بالوصمة التي أحققها المرض بالمصابين، فضلا عن الخوف من أن تؤدي جثامين المرضى إلى الإصابة بالعدوى. ورفضت المقابر استقبال جثامين من لقوا حتفهم جراء الإصابة بمرض كوفيد - 19.

مقبرة كورونا

يقول طاهر الخاقاني، المشرف العام على ميليشيا كتائب الإمام علي القتالية، واحدة من أوائل الميليشيات التي تشكلت لمحاربة تنظيم داعش، "بدأت أرى هذه المشاهد على شاشات التلفاز، مازلت أذكرها، عندما أقيت سبعة أو ثمانية جثامين خارج مشرحة المستشفى وتركت هناك".

وترتبط فرقة ليواروه الثرى الشيعي آية الله العظمى علي الحسيني السيستاني.

من هنا جاءت الفكرة إلى الخاقاني بأن الحل يكمن في بناء مقبرة جديدة مخصصة لمن ماتوا بسبب فايرس كورونا. وتشاور بشأن المقترح مع محافظ النجف والسيستاني ورئيس ديوان الوقف الشيعي في العراق، المسؤول عن جميع الأمور المالية والعقارية الشيعية.

وفي غضون أيام حصلوا على رقعة أرض مساحتها

1500 فدان على بعد 20 ميلا من مدينة النجف، مخصصة لدفن ضحايا كورونا.

ويقول رجل الدين توفيق مهدي من النجف "إنهم لا يستطيعون دفن أقرابهم بالطريقة المعتادة، وهذا يجعلهم حزينين جدا. ويتمثل دورنا في تخفيف حزنهم، ومواساتهم بكلمات من قبيل: هئ من روعك. هذه الجائحة التي تفتت هي التي منعك من أن تكون بالقرب منهم كما كنت من قبل، لكننا سوف ندعو لهم بالرحمة والمغفرة".

بدأ الفصل الأول من قصة هذه المقبرة عندما طرق الموت باب أول ضحايا فايرس كورونا في بغداد في شهر

بأتم جثامين العراقيين تُكدس داخل مقبرة واحدة يطلق عليها اسم "وادي السلام الجديدة"، أو "مقبرة كورونا"، حيث تختفي الطائفية إذ يدفن الجميع من كل الأديان والمذاهب جنبا إلى جنب.

بغداد - لا توجد إشارات على الطريق المؤدي إلى مقبرة وادي السلام الجديدة أو كما يسميها العراقيون "مقبرة كورونا"، ولكن ليس من الصعب العثور عليها: فقط اتبع السيارات. إنه المكان الوحيد الذي تتجه إليه على الطريق الصحراوي الوعر.

تم إنشاء هذه المقبرة الواقعة في جنوب العراق قبل أربعة أشهر. والآن تحوي أكثر من 3200 قبر، ولا تزال الحفارات تعمل كل ليلة لشق أخاديد جديدة في التربة الرملية.

وأعلنت وزارة الصحة العراقية الثلاثاء 4 أغسطس تجاوز إجمالي عدد الوفيات في البلاد منذ بداية ظهور

الفايروس إلى الألف حالة. وقبل مدة قصيرة كان الحصول على قبر أكبر أحلام العراقيين، بسبب رفض المدافن الرسمية والسكان استقبال جثث ضحايا فايرس كورونا، لاعتقادهم بأنها من مصادر العدوى، مما أدى إلى تكسر الجثث في ثلاث الموتى.

وتأسست المقبرة بأمر من المرجعية الدينية علي السيستاني، وهي صغيرة جدا بالنسبة لمقبرة وادي السلام القريبة، الأكبر في العالم.

ومقبرة وادي السلام هي الأضخم في العالم على الإطلاق. يقدر عدد القبور فيها بأكثر من خمسة ملايين، ويوجد فيها مرقد الإمام علي بن أبي طالب.

وتتجاوز مساحة المقبرة الواقعة في محافظة النجف 10 كيلومترات مربعة. وتسود حالة من القلق الشديد خوفا

من فقدان السيطرة في العراق. ويواجه العراق الفايرس اليوم بعدد قليل من الأطباء والمستشفيات التي أنهكتها الحروب المتتالية. وبحسب منظمة الصحة العالمية، في العراق 14 سريرا في المستشفى لكل عشرة آلاف نسمة، ومن باب المقارنة، فإن فرنسا التي غلب الفايرس نظامها الصحي، تملك سريرا لكل 60 شخصا.

طقوس كوفيد - 19

وتنقل الصحافية في صحيفة "الإندبندنت" البريطانية اليسا يوهانسن روبن عن علي راضي (49 سنة) من الناصرية، وهو يقف بجانب سيارته عند بوابة المقبرة تحت أشعة شمس الصيف الحارقة، حيث وصلت درجات الحرارة بعد الظهر إلى 46 درجة مئوية، قوله "نحن في انتظار أمنا، لقد ماتت قبل يومين، ولكن الآن مع كورونا لا يمكننا إحضارها. علينا الانتظار حتى تأتي بها سيارة الإسعاف". ويضيف بصوت منخفض، وعيناه معلقتان

